﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكَر اللهُ سُبْحَانه جزاءَ أعدائِه مِنَ الكَافِرين؛ بسبَبِ موقفهم من القُرآنِ الكريمِ، ناسبَ أن يذكُرَ جزاءَ أوليَائِه مِنَ المُؤْمِنين بالقرآنِ؛ وذلك علَى طَرِيقَة القُرآن الكريمِ في الجَمْعِ بينَ التَّرغيبِ والتَّرْهِيب[1]؛ لبيانِ حالِ النَّاس بأصنافِهم في الآخرةِ بعد بيانِ حالِهم في الدُّنيا.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿وَبَشِّرِ﴾: البَاءُ والشِّين والرَّاء تدُلُّ تصاريفُها على ظُهور الشَّيء مَعَ حُسْنٍ وجَمَال[2].

وبَشِّرْ: فِعْلُ أَمْرٍ مِنَ البِشارةِ - بكَسْرِ البَاء-، وهي: كلُّ خبرِ صِدْقٍ تتغيَّر بَشرةُ الوجهِ به، وبِنَاءً على هذا؛ فإنَّ البِشَارَةَ تُستعمل في الخَيْرِ والشَّر؛ ذلك أنَّ التَّبشيرَ هو ظُهورُ أثرِ الكلامِ في البَشَرَةِ، إثر انتشارِ الدَّم في العُرُوق[3]، خيرًا أو شرّا، إلَّا أنَّ اسْتِعمالَها في الخَيْرِ أغلَبُ، وهي كذلك في اسْتِعمَالِ القُرآنِ، وقِيلَ: إنَّ البِشَارة هِي الخَبَرُ السَّارُّ وحدَهُ، واستعمَالُه في غيرِه مِن بابِ التَّهَكُّم[4].

2) ﴿جَنَّٰتٖ﴾: الجيمُ والنُّونان أصلٌ يدُلُّ على السَّتْرِ، وَمِنْهُ: الجنَّةُ في الدُّنيا وهي البُسْتَان؛ لأنَّ الشَّجرَ بِوَرَقِهِ يستُرُ، وسمِّيت الجنَّة في الآخرة جنَّةً إمَّا تشبيهًا بجنَّة

(1) ابنُ كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/203، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/189، ومَرعي الكَرْمِيّ، الكَلِمات البيِّنات، ص: 49-43، والسعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 46، وابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/89.

(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بشر).

(3) الرّاغب، المفردات: (بشر).

(4) الجرجانيّ، التَّعريفات، ص: 45، والمُناويّ، التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، ص: 78.

الدنيا- وإن كان بينهما بون-، وإمَّا لستْرِها عنَّا نعمَها المشار إليها بقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17][1].

والجَنَّة: الحديقَةُ ذَاتُ الشّجَرِ وَالنَّخْل.

وفرَّقَ أَبُو عَليٍّ الفارسِيُّ بينَ الحديقَةِ والجَنَّة؛ بأنَّ الجنَّةَ في كَلَام العَرَب لا تُسمَّى كذلك إلَّا إذَا كان فِيهَا نَخِيلٌ وعِنَبٌ، فَإن لَم يَكُنْ فِيهَا ذَلِك وَكَانَت ذَاتَ شَجَرٍ؛ فَهِي حديقةٌ وَلَيْسَت جَنَّةً[2].

3) ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: النُّونُ والهَاء والرَّاء تَدُلُّ اشْتِقَاقَاتُها على تَفَتُّح شيءٍ أو فَتْحِه، ومِنْهُ سُمِّيَ النَّهْرُ -وَجَمْعُهُ: الأَنْهَارُ، وهو مِنْ مجَارِي المِيَاهِ- نَهْرًا؛ لِأَنَّه يَنْهَر الأَرْضَ، أي: يشقُّها[3]، هَذَا أصلُ التَّسْمِيَةِ في كلام العرَبِ، وإلَّا فَإنَّ أنهارَ الجنَّة تَجْرِي من غَيْرِ أُخْدُودٍ[4]، وأنْهارُ الجَنَّةِ غَيْبٌ محضٌ، فلنا فهمُ مقصودِ الكلامِ لا تعيينُه.

4) ﴿خَٰلِدُونَ﴾: الخَاءُ واللَّامُ والدَّالُ تدلُّ تَصْرِيفَاتُها على الثَّبات والمُلَازَمَة[5]، وَمِنْهُ الخُلْدُ والخلودُ: البَقَاءُ والدَّوام، وهو في الأَصْلِ: المُكْثُ الطَّويل، ولا يلزَمُ مِنْهُ الدَّوامُ، ولذا يُقَيَّدُ في مواضِعَ بِـ (أبدًا) مِن باب التَّمْيِيز لا التَّأْكِيد[6].

وخُلُودُ أهلِ الإيمَانِ في الجنَّةِ مقطوعٌ به، وذَلِكَ مُسْتَفَادٌ من أدلَّةٍ أُخْرَى كثيرةٍ؛ كمَا وَرَدَ في القُرآن الكَرِيم خُلُودُهم في الجَنَّة مقيَّدًا بالتَّأْبِيد، كقَوْلِه تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: 57].

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

أَوْرد -أَيُّها الرَّسُول الكَرِيمُ وكلُّ مَنْ يتأَتَّى خِطَابُهُ- على مَسَامِع أَهْلِ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ خَبرًا يسرُّهُم سرورًا عظيمًا حتَّى يَمْتَلِئَ به باطنُهم ويظهَرَ أثرُهُ على بَشَرةِ وجوهِهم بأنَّ لهم في الآخرةِ بَسَاتِينَ كثيرةً وعظيمةً، تجري مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ، ولَهُمْ فِيهَا

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جن)، والسمين، عمدة الحفاظ: (جنن).
(2) ابن سِيده، المحكم: (جن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهر)، وابن سيده، المحكم: (نهر).
(4) ابن القيِّم، حادي الأرواح، ص: 179-178، وابن القيِّم، الكافية الشَّافية، ص: 326، والألبانيِّ، سلسلة الأحاديث الصَّحيحة: 6/47-48.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلد).
(6) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 434، وابن القيِّم، شفاء العليل، ص: 257، وابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطيَّة: 1/265.

ثمراتٌ كثيرةُ العددِ، مختلفةُ الأنواع والطّعوم، كُلَّما رَزَقَهُمُ اللهُ تعالى مِنْهَا نوعًا؛ قالُوا قَبْلَ ذَوقِهِ: قد رَزَقَنَا اللهُ سبحانه هذَا مِنْ قبلُ، فإذا ذَاقُوهُ وَجَدُوا طَعْمَه مختلفًا عَنْ شبيهِهِ في اللَّوْنِ والشَّكْلِ، وكلُّ ثَمَرِ الجنَّة يُشْبِهُ بعضُهُ بعضًا في الحُسْنِ واللَّذَّة وإِنْ كَانَ مُخْتَلِفًا في الطَّعْمِ.

ولِأَهْلِ الإيمَانِ والعمَلِ الصَّالحِ في الجَنَّاتِ: زوجات مطهَّرات من كل ألوان الدنس الحسّيِّ كالبول والحيض، والمعنويِّ كالكذب وسوء الخُلُق، وَهُمْ في الجنَّة باقُون، لا يَفْنَوْنَ ولا يَخْرُجون مِنْهَا[1].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بَدِيعُ عَطْفِ القصَّةِ على القِصَّةِ:

بيانُ واقعِ أهلِ الكفرِ وأهلِ الإيمانِ في المآلِ بعد بيانِ وَاقِعِهِم في الحَال

من بديعِ القرآنِ في العطفِ عطفُ القصَّة على القصَّة كما سمّاه السّيِّدُ الجرجانيُّ، ومعناه عطفُ جُملٍ على جُملٍ، وأوَّلُ مَنْ نبَّه عليه الزَّمخشريُّ، وهنا قد عُطِفَتْ جُمَلٌ فيهَا ذكرُ لثوابِ أهل الإيمان على جُمَلٍ فِيهَا ذكرُ لعقاب أهلِ الكُفْران، والجامِعُ بَيْنَهُمَا التَّضَادّ؛ فإنَّ الإيمانَ يُضادّ الكفرَ؛ ليتَّضِحَ كَمَالُ التَّبايُنِ بين حال الفَرِيقَيْنِ في المآل، كما اتَّضحَ في الحال[2].

نكتةُ إفرادِ الخطابِ في قولِه: ﴿وَبَشِّرِ﴾:

النَّصُ على المتابعةِ، ودخولُ كلِّ تبشيرٍ في صحيفته ﷺ

جاء خطابُ الأمرِ مفردًا في قولِه: ﴿وَبَشِّرِ﴾ لا جمعًا، وبناءً عليه اختلف المفسِّرون في تعيين المراد على قولين:

الأوَّل: خصوصُ الخطاب لِلنَّبِيِّ ﷺ، وهو الأصلُ في الخِطاب؛ إذْ أصلُه أن يكُونَ موجَّهًا لمعيَّنٍ.

الثَّاني: عُمُوم الخطابِ للأُمَّة؛ فيكون أمرًا لِكُلِّ مَنْ يَتَأَتَّى خِطَابُهُ.

(1) الخازن، لباب التَّأويل: 1/32، وابن جُزي، التَّسهيل: 1/76-77، والسعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 46، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 5.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/68، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/350.

وقد اسْتَظْهَرَ الأَوَّلَ أبو حَيَّانَ؛ لأنَّ اختصاصَ أمرِهِ ﷺ بالبِشَارَة أفخَمُ، "وكأنَّهُ ما اتَّكَلَ على أَنْ يُبَشّر المؤمنينَ كلُّ سامعٍ، بَل نَصَّ على أَعْظَمِهِم وأَصْدَقِهِم لِيَكُون ذلك أوثَقَ عِنْدَهُم وأقطَعَ في الإِخْبَار بهذه البِشَارة العظيمَة؛ إذْ تَبْشِيرُهُ ﷺ تبشيرٌ مِنَ اللّه تعالى"[1].

وَاسْتَحْسَنَ الثَّانيَ الزَّمخشريُّ؛ لأنَّه مُشْعِرٌ بعظَمَةِ الأمر وفخَامَتِه؛ بِحَيْثُ حُقَّ أَنْ يُبشِّرَ بهِ كلُّ مَن قَدر على هذه البِشارةِ[2].

والوَجْهان مُتكامِلان في أثرِهما، فإنَّ الخطابَ موجَّهٌ للنَّبيِّ ﷺ ابتداءً، وعلى الأُمَّة أن تقتديَ به انتهاءً؛ فالأمرُ جاءَ مطابقةً له - عليه الصَّلاةُ والسَّلام -، ودلالة التزام لأُمَّته، ونكتةُ أن جاءَ مُفردًا دون أنْ يكونَ جمعًا؛ لبيانِ أنَّ كلَّ تبشيرٍ داخلٌ في ميزانه ﷺ، فمن أحبَّه بشَّر، ومن خالَفَه نفَّر.

سِرُّ التَّعبيرِ بالاسم الموصُولِ دون الظَّاهر:

جاءَ التَّعبيرُ بالاسْم المَوْصُول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دونَ الظَّاهر؛ لِلتَّنْبِيهِ علَى أنَّ سببَ التَّبشير ما جاء في حيِّزِ الصِّلة؛ وهو الإيمانُ والعمَلُ الصَّالحُ[3].

الإشعارُ بعلَّة التَّبشيرِ والثَّناءُ على المؤمنين بأعمالِهم القلبيَّة والبدنيَّة

فالتَّعْبيرُ بالموصولِ مُشعِرٌ بالسَّبَبيَّة التي لأجلِها أُمِرَ النَّبيُّ ﷺ بالتَّبشيرِ؛ فلولا إيمانُ المؤمنين لما أُمِر بتبشيرهم[4]، وفيه ثناءٌ عليهم بأعمالِهم القلبيَّة والبدنيَّة؛ إذِ التَّبشيرُ نتيجةٌ لها.

إيثارُ الماضي على المضارِع لتأكيدِ سببِ التَّبشيرِ في تحقُّقِ الإيمان والعمَلِ الصَّالح:

آثرتِ الآيةُ التَّعبيرَ بصيغةِ الفعلِ الماضي دونَ المُضَارِع في صلةِ الموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ لبيانِ تحقُّقِ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ لدى المؤمنين، فهي إخبارٌ عن إيمانِهم وأعمالِهم الصَّالحة المتحقِّقَة، لا إخبارٌ عن تجدُّد ذلك منهم، فهي بمنزلةِ التَّأكيدِ لسببِ التَّبشيرِ، وهذا غاية في الثَّناء الحسَن.

---

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/179.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/104.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/68.
(4) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/168.

نكتةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الإيمَانِ لجَرَيانِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مجرى الاصطلاحِ العُرفيِّ:

إطـلاق عـبـارة (الـذيـن آمـنـوا) تتضمن جميع أفراد الإيمان

حُذِفَ مُتَعَلَّقُ الإيمان في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فلم يُذْكَر بِمَاذَا آمنوا؛ لِلْعِلْمِ بِهِ؛ فَإِنَّ متعلَّق الإيمانِ كان معروفًا عِنْدَ المُخَاطَبِينَ[1]؛ فقد جَرَى قولُه سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مجرى الاصطلاحِ العُرفيِّ، فإذا قيلَ: الذين آمنوا؛ عُلِم المقصودُ مِنَ المحذوف، دون تخلُّفِ أيِّ فردٍ من أفرادِه؛ فينقدِحُ في الذِّهنِ جميعُ ما يجب أن يُؤمِنَ بِهِ المؤمنون، وهذا أبلغُ من ذكرِ أركانِ الإيمان؛ لأنَّه إنشاءٌ لطلبِ المقصُود، أمَّا هنا فهو تعبيرٌ عَنِ المتحقِّقِ الموجود.

توجيهُ عَطْفِ الخاصِّ على العام:

العنايةُ بالعَمَلِ الصَّالح، بذكرِه إشـارةً وعـبـارةً لعدمِ التَّهاونِ فيه

عُطِفَ العملُ الصَّالحُ على الإيمانِ في قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ لأنَّه من قبيل عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ؛ تنبيهًا على فضيلةِ العمل الصَّالحِ بذِكْرِهِ مرَّتين، إِحْدَاهُمَا: مُنْدَرِجًا تحتَ لَفْظِ الإيمَانِ وهذه دلالة إشارة، والأُخْرَى: مُنْفَرِدًا وهذه دلالة عبارة؛ وذلك لعدَمِ التَّهاونِ فيه، وهو بمثابةِ عطفِ الفرعِ على الأصل، وجني الثَّمَر بعد رعي الشَّجَر.

نكتةُ تنزيل الصِّفةِ منزلةَ الموصوفِ:

التَّـنـبـيـه على ضـــــرُورةِ استحضارِ النِّيَّةِ، وتحقيقِ الصَّلاح

حُذِف الموصُوف، وأُقيمت صفتُه مكانَه في قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وهو إيجازٌ بالحَذْفِ؛ إذ (الصَّالِحَات) وَصْفٌ لموصوف محذوف، تقديره: وعَمِلُوا الأعمالَ الصَّالحات[2]، والقرينةُ على تَعْيِينِ المَحْذُوفِ هي الفِعْلُ (عَمِلُوا)، ونكتةُ ذلك التَّوجُّه جملَةً إلى الصَّالحات، تنزيلًا للصَّفة منزلةَ الموصوف، رعايةً لها، وتعليمًا بأنَّ المقصودَ مِنَ الأعمالِ هو الصَّلاحُ لا مجرَّدُ الأعمالِ، وفي ذلك

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/192.

(2) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/90.

تنبيهٌ على ضرورةِ استحضارِ النيَّة القلبيَّة المُوطّأ لها بـ ﴿ءَامَنُواْ﴾، وأهميَّة تحقيقِ الصَّلاح المُمهَّدِ له بـ ﴿وَعَمِلُواْ﴾.

معنى اللَّامِ في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

العمَلُ الصَّالِحُ هو الجامِعُ لِلإِخْلاصِ والمُتَابَعَةِ نصّا وإِقْرارًا

نوعُ اللَّام في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لِلْعَهْدِ العلميِّ؛ فَإِنَّ العملَ الصَّالحَ معروفَةٌ حقيقَتُهُ في الشَّرعِ، وأنَّه الجامعُ بينَ أمرين: الإخلاصُ لله تعالى، والمتابعَةُ لرَسُول الله ﷺ.

ويَحْتَمِلُ أن تَكُونَ اللَّام لِلاسْتِغْرَاقِ العُرْفِي، ويُرْجَع في تحديدِ مقداره إِلَى الأَدِلَّةِ الشَّرعيَّة والاستطاعَة[1]، ومآلُ القولَين واحدٌ؛ إذ جميعُ الأعمال الصَّالحة في عرف النَّاس ممّا أقرَّها الشَّرعُ؛ فهي داخلةٌ في المعهودِ في الشَّرع.

نكتةُ جَمْعِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ التَّنبيهُ على ضرورةِ الإتيانِ بها جميعِها:

وجَمْعُ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لِلْإِيمَاءِ إلى وجوبِ الإِتْيَانِ بِهَا بأنواعها دُون الاكْتفاء بِبَعْضِهَا؛ إِذْ إِنَّ أركانَ الإسلام وأعمالَ الخيرِ مترابطةٌ يأْخذُ بعضُها بِحُجَزِ بعضٍ[2].

تَقْدِيمُ الخَبَرِ للتَّشويقِ لمعرفَةِ ما أُعِدَّ للمؤمنين بعد معرفَةِ ما أُعِدَّ للكافرين:

قُدِّمَ خبرُ ﴿أَنَّ﴾ وهو (لَهُمْ) على اسمها (جَنَّٰتٍ)؛ لأنَّ تَقْدِيمَهُ آكدُ؛ "لِقُرْبِ عود الضَّميرِ على الذين آمَنُوا؛ فهو أسرُّ لِلسَّامع"[3]، وفيه تشويقٌ لمعرفة ما أُعِدَّ له، بعد معرفةِ ما أُعِدَّ للكافرين، وعلى ذلك تكونُ اللَّامُ في (لَهُمْ) مُرادًا بها الاختصاصُ.

دلالة جَمْعِ الجَنَّاتِ وَتَنْكِيرِهَا:

تَنَوُّع الجنَّات واختلافُها فيه مزيدُ ترغيبٍ بعد تشويق

دلَّ جمعُ الجنَّاتِ في قولِه سبحانه: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ على تَعَدُّدها وكَثْرَتِها؛ إِذْ إِنَّ الجنَّةَ مشتملةٌ على جِنان كثيرةٍ، وجيءَ بها مُنَكَّرةً

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/352.
(2) مجموعة مِنَ العلماء، التَّفسير الوسيط: 1/57.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/182.

لِلْإِشَارة إلى تَنَوُّعها واختلافها[1]، وهو أدعى لِبناءِ عُنصُرِ التَّرغيبِ بعد التَّشويقِ؛ فإنَّ الجنَّةَ غَيْبٌ، والجمعُ أقوى في تعزيزِ خيال السَّامعِ، وتنشيطِ قلبِه.

سِرُّ التَّعبير بالجَرَيانِ؛ بإيثارِ صِيغَةِ المُضارِعِ:

تصويرُ جَمَالِ أنهارِ الجنَّةِ فهي جديدةٌ مستجِدَّةٌ

وَصْفُ أنهارِ الجنَّاتِ بالجَرَيانِ بصيغة الفعل المُضارِعِ في قولِه تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ تصويرٌ لحُسنِها؛ ذلك أنَّ أَحْسَنَ المياهِ ما كَانَ جَارِيًا؛ لأنَّ ذلك يَقْتَضِي كونَه جَدِيدًا كلَّما اغْتُرِفَ أَوِ اغتُسِلَ منهُ[2]، فهي جديدةٌ مُسْتَجِدَّةٌ، ويُؤَيِّدُه أنَّ إطلاقَ الجَرْيِ على سَيَلان الماء سَيْلًا متكرِّرًا مُتَعَاقِبًا - وأَصْلُه: شِدَّةُ سُرعةِ المَشْيِ -، هو توسُّعٌ في العبارةِ، ومَجازٌ في الاستعمال[3]؛ واستُعمِلَ لتصويرِ سُرْعَةِ المياه.

توجيهُ المتشابِهِ اللفظيّ:

التَّوافُقُ بين الآياتِ والتَّكامُلُ بين المعاني

ورَد فعلُ الجَرْيِ في قولِه تعالَى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ في جميع مواضعِ القُرآنِ الكريمِ متعدِّيًا بحرف الجرِّ (مِنْ)، إلا في موضعٍ واحد وهو في سورة التَّوبة -على قراءةِ الجُمهور- بدون (مِنْ)[4]، وذلك في قولِه تعالى: ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التوبة: 100]، والفرق بَيْنَهُمَا أنَّ قولَه تعالى: ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: تجري الأنهارُ من تحت أشجَارِهَا مرورًا، وقولَه سبحانه: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ أي: يَنْبُعُ الماءُ ابتداءً مِن تحتِها ثُمَّ تَجْرِي مِن تحت أشجارها[5]، والآيتان بينهما توافقٌ دلاليّ، وتكاملٌ وظيفيّ؛ فالموضع المذكور فيه حرفُ الجَرِّ يدُلُّ على ابتداءِ الجري، وآية التَّوبةِ الخالية

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/106، والطِّيبي، فتوح الغيب: 2/355.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/354.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/354.
(4) ابن الجزري، النشر: 2/280.
(5) الثَّعلبِيّ، الكشف والبيان: 5/86، والخطيب الإسكافي، دُرَّة التَّنزيل، ص: 473-472.

من حرف الجرِّ على قراءةِ الجمهورِ إخبارٌ عن مرورِ الأنهار من تحت الأشجارِ، فآيةٌ أخبرَت عن الابتداءِ، وأخرى أخبرت عن المرور، وما قيل بين الآيتين، يُقال بين القراءتين في آية التَّوبة.

معنى اللامِ في كلمة ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾:

التَّقارُبُ في مقصدِ التَّعريفِ؛ ببيانِ أنّها نعمةٌ مُسْتَقِلَّةٌ

لَم تُعرَّفِ الأنهارُ بالإضافةِ إلى ضمير الجنَّاتِ بأَنْ يقال: (تَجْرِي مِن تحتِها أنهارُهَا)؛ لِما فيه مِن كُلفَةٍ في الكلامِ، ولِلتَّنْبيه على أَنَّ نعمةَ الأنهارِ مُسْتقِلَّةٌ فيكون التَّمَتُّع بها تنعُّمًا مستقِلّا لا تبعًا لِلْجَنَّاتِ[1]، وبناءً على ذلك فاختُلف في تحديد معنى اللامِ في كلمَةِ ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ على أقوالٍ:

الأوَّل: تَعْرِيفُ الجِنْسِ[2]، فيكون في قوَّة النَّكرةِ.

الثَّاني: العَهْدُ التَّقديريّ؛ ذلك أنَّه لَمَّا ذُكرتِ الجنَّاتُ؛ اسْتَحْضَرَ السَّامعُ لوازمَها ومقارنَاتِها؛ "فساغَ لِلْمُتَكَلِّم أن يُشير إلى ذلك المعهُودِ، فَجِيء باللَّام"[3].

الثَّالث: العَهْدُ الخارجيُّ، والإشارةُ فيه إلى قول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾[4] [محمد: 15].

الرَّابع: التَّفنُّن، وهو ما مالَ إليه ابنُ عَاشُور؛ لئلَّا يُعادَ التَّنكيرُ مرَّةً أخرَى بعد تنكيرِ ﴿جَنَّٰتٍ﴾[5].

والأقوالُ في تحديدِ معنى اللَّامِ متقاربةٌ في مقصدِها، وإنِ اختلَفت في معناها.

نكتَةُ تقديمِ الجنَّة على الأَكْلِ مِنْهَا:

الجَنَّةُ مكانُ التَّنعُّمِ بالثَّمراتِ وسببُه

قُدِّمَ ذِكرُ الجنَّةِ وأنهارِها على الأَكْلِ مِنْهَا؛ لنكاتٍ ثلاثٍ[6]:

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/355.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/107.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/354-355.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/69، والآلوسّي، روح المعاني: 1/204.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/355.
(6) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/77، والآلوسّي، روح المعاني: 1/204.

الأولى: منفعةُ التَّنعُّم بالنَّظَرِ إلى الجنَّةِ سابقةٌ على منفعَةِ التَّنعُّم بالأكل مِنْهَا.

الثَّانية: الجنَّةُ والأنهارُ سببٌ في وجودِ الثَّمَرِ، فقُدِّمَ ذِكْرُ السَّبَبِ على النَّتيجة.

الثَّالثة: جريانُ الأنهارِ تحت الجنَّات وصفٌ لِلْجَنَّةِ باعتبار ذَاتِها، وأمَّا الأكلُ مِنْهَا فَوَصْفٌ لهَا باعتبار انتفاعِ سَاكِنِيهَا.

بلاغةُ فَصْلِ جُمْلَةِ ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾ عَمَّا قَبْلَهَا:

بيـان مـا لأهـل الجنَّةِ من لذَّاتٍ تامَّة، لا تَتَناهَى لها عـقـولُ أهـلِ الدُّنيا

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾ عمَّا قبلُ؛ لكونِه وصفًا ثانيًا بعد الوَصْفِ الأوَّلِ مِن جري الأنهارِ تحتَها.

ويَحتَمِلُ أن تكون خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ، تقديره: هُمْ، وإنَّما حُذِفَ لِذِكْرِهِ قبلُ وبعدُ، وليتحقَّقَ التَّناسبُ بين الجُمَلِ في الصُّورةِ؛ لاشتراكها جميعًا في الاسميَّةِ[1].

ويحتمل أن تكون جُملةً مستأنفةً استئنافًا بيانيّا؛ أي: أنَّ بين ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾ وما قبلها: شبهَ كمالِ الاتِّصال؛ إذِ الثَّانية وقعت جوابًا عَنْ سؤالٍ يُفْهَمُ مِنَ الأولى، كأنَّه لَمَّا ذُكرت الجنَّةُ وأنهارُها؛ قيل: ما حالُهم في تلك الجنَّات؟ أو: أَلَهُم في الجنَّات لذَّاتٌ كما في هذه الدَّار أم أتَمُّ وَأَزْيَدُ؟ فجاء الجوابُ: بأنَّ لهم فيها ثمارًا عجيبة وأزواجًا نظيفة وهُمْ فِيهَا أبَدَ الآبادِ لا يمُوتون ولا يتحوَّلون عَنْهَا[2].

بِنَاءُ الفِعْلِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ للتَّرغيبِ والإطماع:

بُنِي الفعلُ ﴿رُزِقُواْ﴾ لِمَا لم يُسمَّ فاعِلُهُ، ولم يقل: (رزقهم الله)، ونكتةُ ذلك أنَّ السِّياقَ هو سياقُ ترغيبٍ وإطماع، فكانَ توجيهُ الأنظارِ إلى الرِّزق لا إلى الرَّازق هو الأنسبَ بالمقامِ، مع قطعيَّة العلمِ بالفاعلِ؛ إذْ لا رَازِقَ إلَّا اللهُ سبحانه.

(1) وهي: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾، ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/107، والآلوسّي، روح المعاني: 205-1/204.

نُكتة معنى الابتداء في قولِه: ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾:

بـيـانُ عـظـيـمِ الأجـرِ وجـزيـلِ الامتنانِ

حرفُ الجرِّ (مِنْ) في قولِه تعالى: ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ لابْتِدَاءِ الغايَةِ، بناءً على أنَّ "من" في قولِه: ﴿مِنْهَا﴾ لابتداءِ الغايةِ، فقولُه: ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ بدَلُ اشتمال من ﴿مِنْهَا﴾، ويكونُ معنى الثَّمَرَة النَّوْعَ من أنواعِ الثِّمار، لا الثَّمَرَة الواحِدَة[1]، ونكتةُ الابتداء بالثَّمَرَةِ بيانُ عظيمِ الأجرِ المُعَدِّ لأهلِها؛ فإذا كانتْ هذه البدايةَ فما بعدَها أعظَم وأكرَم؛ ففيها التَّشويقُ لما فيها من الخيرِ العميم، وأجازَ الزَّمخشريُّ أن يكونَ حرفُ الجرِّ بيانًا[2]، وضعَّفَه السَّمين[3].

بلاغةُ تَنْكِيرِ ﴿رِّزْقًا﴾:

لـذَّةُ رزقِ الجنَّة غيرُ معهُودَةٍ

تَنْكِيرُ كلمةِ ﴿رِّزْقًا﴾ في قولِه تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ لبيان النَّوعيَّةِ، والمعنى: أنَّهُم رُزقوا نوعًا غيرَ ما يَعْهَدُونَهُ[4]، وشأنُ المجهولِ المذكُور في سياقِ المَدْحِ والتَّرغيبِ أن يكونَ عظيمًا في ذاته، مرغوبًا في صفاته، وهو ما يُصوِّر مدى لذَّةِ الرِّزق المُعدِّ.

نكتةُ حَذْفِ كَلِمَةِ (مِثْل):

اسْتِحْكَامُ الشَّبَهِ بينَ ثمارِ الجَنَّة

وقعَ حذفٌ في قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ وتقديرُه: هذا مِثْلُ الذي رُزِقْنَا من قبلُ، وقرينةُ الحذفِ: أنَّ الحاضِرَ بينَ أيدِيهم في ذلك الوقت ليس عَيْنَ الذي رُزِقُوه مِنْ قبلُ، ونكتَةُ الحذفِ ههنا: استِحْكَام الشَّبَهِ، حتَّى كأنَّ هذه الذَّات هي تلك[5]، ويقوِّيه استعمالُ اسمِ الإشارة ﴿هَـٰذَا﴾؛ ليتعيَّنَ المشارُ إِلَيْهِ؛ لئلَّا يُتَوَهَّمَ أنَّهُ غيرُهُ.

وتَقْدِيرُ (مثل) هَهنا جارٍ على أقوالٍ عديدةٍ في تفسير القَبْلِيَّةِ

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 1/107.
(2) الزّمخشري، الكشّاف: 1/107.
(3) السّمين، الدّر المصون: 1/216.
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 1/204-205.
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/185-186.

المذكورة في قوله: ﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، ولكنْ إذا حُمِلَت القبليَّةُ ههنا على معنى: هذا الذي وُعِدنا في الدُّنيا أن نُرْزَقَهُ في الآخرةِ؛ فلا يصحُّ التَّقديرُ ههنا، إلَّا أنَّ هذا القولَ خارجٌ عَنِ الأصلِ مِن جهةِ أنَّه يَتَعَيَّنُ حملُهُ على المجازِ؛ إذْ مِنَ المعلومِ أنَّهم لم يُرْزَقُوا عينَ ثمرةِ الجنَّةِ في الدُّنيا، فيكون قد عُبِّر عَنِ الوَعْدِ بمتعلَّقِه وهو الرِّزْق؛ وذلك لِلْجَزمِ بتحقُّقِ الوعد صارَ كأنَّهم رُزقوه في الدُّنيا[1].

نكتةُ بِنَاءِ الفِعْلِ ﴿وَأُتُواْ﴾:

مـزيـدُ تـكـريـمٍ لأهـلِ الـجَـنَّـةِ بإظـهـارِ الفعل دون فاعِله

بُنِيَ الفعلُ ﴿وَأُتُواْ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ لِما لَم يُسمَّ فاعلُه؛ لِلْعِلْمِ به وهُمُ الوِلْدَانُ والخدَمُ بأمر اللهِ تعالى[2]؛ فإنَّه قد سبقَ التَّصْريحُ بمَن يأتيهم بهِ في سُوَر القرآن الكريم المكيَّةِ، كقول اللهِ تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة: 17-21]، ونكتةُ ذلك؛ توجيه النَّظرِ والاهتمام بأمرين: الأوَّل: الحدث، وهو فعلُ الإتيان، الثَّاني: المأتيُّ به، وهو الثَّمَر؛ فإنَّ بناءَ الفعلِ لما لم يُسمَّ فاعلُه فيه مزيدُ تكريمٍ لأهلِ الجنَّةِ، بإظهارِ الفعلِ دون الفاعلِ.

فائدةُ تَقْدِيمِ الجَارِّ وَالمَجْرُورِ التَّخْصِيصُ بغرضِ التَّعريض بأزواج الدُّنيا:

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿فِيهَآ﴾ على ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾، فلم يَقُل: (ولَهُمْ أزواجٌ مطهَّرة فِيهَا)؛ لإفادة التَّخصيص؛ إذْ إنَّ وصفَ الأزواجِ بهذا الوصفِ الشَّاملِ لطهارة الظَّاهر والباطن، لا يكون لأزواجِ الدُّنيا في الدُّنيا، وهو تعريض بأزواج الدُّنيا، وما يعتريهم من خلاف هذا الوصفِ ظاهرًا وباطنًا، ترغيبًا في الآخرةِ، وتزهيدًا في الدُّنيا.

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/186.

(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/187، ومرعي الكَرميّ، الكلمات البيِّنات، ص: 91، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 1/245.

نكتةُ تَقْدِيمِ الجَارِّ وَالمَجْرُورِ:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿فِيهَآ﴾، فلم يُقل: (وَهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا)؛ وذلك لِنُكْتَتَيْنِ:

التَّخْصِيصُ؛ فأَهْلُ الجنَّةِ لا يتَحوَّلُون عَنْهَا؛ رضًا بِمَا فِيها

الأولى: إفادة التَّخصيص؛ فخلُودُهم في الجنَّةِ لا غيرَ، وذلك أَدْخَلُ في ترغيبهم وطمأنتهم بأنَّ خلودَهم سيكون في الجنَّة؛ فلن يخرُجوا منها.

الثَّانية: مراعاةُ الفواصلِ، وهذه نكتةٌ لفظيَّة، والنّكات اللفظيَّة تابعةٌ للنكات المعنويَّة؛ إذ لا تستقلُّ بذاتها.

بلاغةُ الفاصلةِ القرآنيَّة:

الاحتراسُ لدفعِ الأوهامِ، وتتميمُ المدحِ لنَعِيمِ أهلِ الجنَّةِ

وقعَت الفاصلةُ القرآنيَّة ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مَوْقعًا بليغًا من الآيةِ، حيث أفادت أمرَين اثنين، أحدهما فكريّ، والآخر نفسيّ:

الأوَّل: الاحتراسُ: وفائدتُه دفعُ توهُّم انقطاع النَّعيم المذكور في سياقِ الآية؛ وسببُ التَّوهُّم: ما اعتادَ عَلَيْهِ النَّاس مِن انقطاع اللَّذَّات في الدُّنيا؛ "لأنَّ جميع اللَّذَّات في الدُّنيا مُعَرَّضة لِلزَّوال، وذلك يُنَغِّصها عند المُنْعَم عَلَيْهِ"[1].

الثَّاني: تتميم المَدحِ، فإنَّ "هذا هو تمامُ السَّعادةِ، فإنَّهم مع هذا النَّعيم في مقامٍ أمينٍ من الموت والانقطاع؛ فلا آخر له ولا انقضاء، بل في نعيم سرمديّ أبديّ على الدَّوام، واللّه المسؤول أن يحشرَنا في زمرتهم، إنَّه جوادٌ كريمٌ، بَرٌّ رحيم"[2].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/357.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/206.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»